القصة ١٩

بقلم : قصّي سالم علوان

وانا أقرأ العدد الخامس من مجلة ((القصة)) الغراء ، عنت لي بعض الملاحظات حول بعض القصص فيها . ومن هذه القصص : ((بكاء)) للأستاذ أمين يوسف غراب .

والقصة تصور رجلا في العقد الرابع ، متزوجا وله أولاد ، يحب امرأة متزوجة ولها أولاد ، و ((البيت الكريم والأصل الطيب والخلق النبيل والقلب الأبي ، كل ذلك يمنع صاحبه من أن يهدم بيده ((عش من يحب)) ولا يمنع الالتقاء بمن يحب وحتى على انفراد !

ويمضي الكاتب الفاضل في وصف حال العاشق لرفيق له في القطار ، فهو رجل ((ممعود)) من كثرة التفكير الذي سبب له مرضا في المعدة ، وهو لا ينام الا في الرابعة صباحا ، بعد تناول الحبوب المنومة ، وهو يبكي بين حين وآخر ، وحتى امام الناس ، بعد أن يطلب الاذن ! حتى صارت عيناه بلون الدم !

ولا أتصور في عصرنا هذا ـ ولست واثقا بكل ما روى عن مجنون .. ليلى ـ رجلا في العقد الرابع ، متزوجا وله أولاد ، يبلغ به الحب هذه الدرجة التي تذكرني بغرام المراهقين . المراهقين ؟! لا أظن أن الغرام يصل بهم الى درجة مرض المعدة وتناول الحبوب المنومة في الرابعة صباحا بعد أكثر من وجبة بكاء تدمي العين .

والشيء الآخر في القصة ان هذا العاشق يروى قصته لرفيقه في القطار ، الذي كان هو الآخر عاشقا ، ولكن بلا مرض ولا حبوب ولا بكاء دام ..

ويمضي كل في حبه حتى تمرض امرأة متزوجة وتنام في المستشفى فيزورها الثاني بعد أن ((فرغ المستشفى من زحام الأهل والمعارف الذين كانوا يلازمونها ليل نهار .. اذ هي حبيبته ، فيجد الأول امامه ((بجانبها بجوار السرير يقدم لها كوبا من عصير البرتقال وكانه يقدم لنفسه سعادة الدنيا بأسرها)) فنعرف أن الاثنين يحبان واحدة هي المريضة !

والسؤال ، كيف استطاع الاثنان ان يذهبا لزيارة امرأة متزوجة ذات أولاد في مستشفى بين ((زحام الأهل والمعارف الذين كانوا يلازمونها ليل نهار)) ؟ !

ثم .. نحن نراها تتدارك الموقف وقت مجيء الثـــانى ـ رفيق القطار ـ افتقدمه للأول على أنه « صديق ماما وبابا وصديق زوجى والعائلة جميعـــا » (! !) تبرر ذلك مراعية لشـــعور هذا الجالس ومفوتة عليه الأمر . . فمن تحب هى ؟ ؟ وماذا عن شعور هذا الذى جاء ؟ ؟

* * *

أما القصة الثانية فهى « القفص » للاســـتاذ زهيرى البيومى ، وهى الأخرى موضوعها الحب !

فتاة تبلغ الثامنة عشرة ، تتزوج رغم ارادة والديها ، تترك البيت ، وتترك فيه منديلها الذى بقيت فيه آثار دموع عدة شهور ! وتترك فى البيت أيضا عصفورين فى قفص . والوالد يتحمل الأمر متظاهرا باللامبالاة ، فهو « الرجل العسكرى الصلب الارادة ، القوى الشكيمة » .

وذات يوم ينتبه ـ الوالد ـ الى صوت العصـــفورين و « ينتبه » ، بعد أن « يتصور العلاقة التى تنشأ عن وجود هذين العصفورين فى قفص واحد ، اذ يتصور الضوضاء التى يمكن أن تحدث فى البيت اذا ما أنجبا طيورا أخرى وعلى الفور أمر الخادمة بشراء لفة من السلك من أحد المحال المجاورة واخـذ يصنع بها حاجزا فى منتصف القفص ووضع كل عصفور فى ناحية » ثم تأتينا بقية القصـــة لنروى لنـــا أن أحد العصفورين قد مات متأثرا بآلام الفراق .. ! وأن العصفورة الأخرى ، البنت الغارة مع حبيبها ، « قد أنجبت بنتا وانها سعيدة فى حيـــاتها » ولكننا نجد الزوج يقول فى برقيته الى الأب الصافح الذى تعلم درســـا من العصافير ، يقول الزوج « عصفورتى ضربت أروع مثل فى ذلك أيضـــا » ! ! فماذا يعنى ذلك ؟ ! أهى ماتت كعصفورة القفص ؟ ولماذا وهى سعيدة مع زوجها القريب ؟؟

وما دام الحديث عن العصـــافير والطيور فلنقرأ بداية القصة . انها تبدأ : «فى ليلة مقمرة من ليالى الصيف بينما كانت الطيور تغرد على غصون الاشجار ..» أما كيف تغرد الطيور فى الليل ؟ ولماذا ؟ فلا أحد يدرى ..

وختاما تحياتى للاستاذين غراب وبيومى ، وتمنياتى الطيبة « للقصة » ،